قالت سالي: «لماذا لا تطلبين إرسال فستان آخر من منزلك؟»

تناست ميج كبرياءها، وأجابتها: «ليس لدي فستان آخر.»

قالت بيل: «لست بحاجة إلى طلب فستان آخر من منزلك، يمكنك استعارة فستان منِّي.»

ابتسمت ميج: «هذا لطف منك، لكن فستاني القديم يناسبني تمامًا.»

توسلت إليها الفتيات واستجدينها حتى وافقت ميج على استعارة أحد فساتين بيل. فقد نسيت تمامًا الحديث الذي سمعته بالأمس.

في يوم الخميس، دخلت ميج مع بيل إلى غرفتها، وأغلقتا الباب. وبمساعدة الخادمة، أصبحت ميج في قمة أناقتها. ساعدتاها في ارتداء فستان ضيق أزرق اللون من الحرير، وصفَّفتا لها شعرها، ووضعتا المساحيق على رقبتها وذراعيها، وأرادتا وضع أحمر شفاه لها لكنها رفضت بحزم. أيضًا ارتدت سوارًا وقلادة وقرطًا. شعرت ميج بأنها تحولت إلى فتاة أخرى، وبدت جميلة للغاية.

اتجهت ميج إلى الطابق السفلي وهي ترتدي حذاءً عالي الكعب، وحاولت جاهدة ألا تطأ فستانها. أمطرها الجميع بعبارات الإطراء والمديح، حتى إن سالي أخبرتها أنها تبدو جميلة للغاية، وحاولت أن تخفي غيرتها.

كان جو ذلك الحفل مختلفًا تمامًا عن الحفل السابق. والفتيات اللاتي تجاهلن ميج من قبل يعيرونها الآن الكثير من الانتباه. والشباب الذين اكتفوا بالنظر إليها في الحفل السابق، طلبوا التعرف إليها.

كانت السيدة موفا منشغلة بتعريف السيدات الأكبر سنًّا بميج. قالت: «ديزي مارش، أبوها عقيد في الجيش، تنحدر من عائلة رفيعة المقام، لكنهم مروا بأوقات عصيبة جدًّا، وهي صديقة مقربة لعائلة السيد لورانس. إنها فتاة رائعة، ابني نيد معجب جدًّا بها.»

صُدمت ميج عندما سمعت كذب السيدة موفا الواضح. كان من الصعب عليها التظاهر بأنها لم تسمع همسات الآخرين وحديثهم عنها. قررت ببساطة أن تمضي وقتًا ممتعًا. أدت دورها جيدًا، على الرغم من أن قدمها كانت تؤلمها من الحذاء، بل إنها تودَّدت إلى أحد الشباب بعض الوقت.

وفجأة وصل لوري. حدق بميج في دهشة واستهجان. رمقت بيل وآني إحداهما الأخرى بنظرات ماكرة، وأثار ذلك الأمر حيرة ميج أكثر، فقررت أن تصحح الموقف وتلقي التحية على لوري.

قالت: «كنت أخشى ألا تحضر.»

– «أرادت جو أن أحضر كي أخبرها كيف تبدين.»

سألته ميج: «بماذا ستخبرها؟»

– «سأخبرها أنك مختلفة تمامًا عن ميج، تبدين أكبر سنًّا إلى حد يخيفني قليلًا.»

قالت ميج: «هذا سخيف، لقد ألبستني الفتيات فستانًا لأمضي وقتًا ممتعًا. ألن تذهل جو إذا رأتني الآن؟»

– «بالطبع ستشعر بالذهول!»

تأذت مشاعر ميج، وقالت: «ألا يعجبك مظهري هكذا؟»

– «كلا، لا يعجبني.»

– «لماذا؟»

نظر لوري إلى فستانها الأنيق وكتفيها العاريين، وشعرها الملفوف، «لا أحب المبالغة في الزينة.»

كان لذلك الكلام وقع قاسٍ للغاية لا سيما أن من يقوله صبي يصغرها سنًّا. قالت ميج في غضب: «أنت أكثر الفتيان وقاحةً في العالم!»

ثم مشت نحو النافذة كي تهدأ، وبعد أن استمعت مصادفة لتعليق بغيض عن ملبسها المبالغ فيه، أدركت أنه كان ينبغي لها ارتداء فستانها القديم، بدلًا من أن تشعر بالانزعاج والخزي هكذا. وقفت ميج وحاولت إخفاء نفسها جزئيًا خلف الستار حتى جاء لوري ومدَّ يده وقال: «أرجوك سامحيني على فظاظتي وارقصي معي.»

أوضح أنه على الرغم من عدم إعجابه بالفستان، فهي تبدو جميلة بالفعل. حاولت أن تعبر عن غضبها، لكن رقصتها المفضلة كانت قد بدأت. دار الاثنان في سعادة ولم يتوقفا حتى شعرت ميج بانقطاع أنفاسها.

سألته: «لوري هل من الممكن أن تقدم لي خدمة؟»

– «بالطبع!»

– «لا تخبرهن بالمنزل عن فستاني هذا.»

سألها لوري: «لماذا ارتديته إذن إذا كنت تشعرين بالخجل هكذا؟»

«لا مانع لدي أن يعرفن بأمر الفستان، لكنني أريد أن أخبرهن بنفسي.» ثم صمتت لحظة واستطردت: «سأضطر للاعتراف بتصرفاتي الحمقاء.»

أومأ لوري: «حسنًا، ماذا أقول عندما يسألنني؟»

– «أخبرهن أني أمضي وقتًا سعيدًا وأني كنت جميلة فحسب.»

بدا لوري قلقًا وقال: «هل تحظين بوقت ممتع فعلًا؟»

– «ليس في هذه اللحظة. أردت بعض المرح، والآن أشعر بالسأم من الأمر.»

سار نيد موفا في اتجاهها ليرقص معها. نظرت ميج إلى لوري ورفعت عينيها، فضحك، وعلم أن ميج تقصد أن نيد شخص مثير للضجر.

لم ير لوري ميج إلى ما بعد انتهاء العشاء عندما رآها تحتسي الخمر مع نيد وصديقه فيشر. كان الاثنان يتصرفان تصرفات حمقاء، ثم انصرف نيد ليحضر كأسًا أخرى ومضى فيشر ليحضر لها مروحتها اليدوية.

همس لوري إلى ميج: «ستعانين صداعًا مروعًا إذا أفرطت في الشراب. وقد لا تحب أمك هذا الأمر.»

أجابته: «أنا لست ميج هذه الليلة، أنا فتاة مدللة حمقاء تفعل أشياء مجنونة. غدًا سأعود ميج مرة أخرى وأخلع ثوب البهرجة والترف.»

طوال ما تبقى من المساء شاهد لوري ميج وهي ترقص وتضحك وتتحدث وتتودد إلى الفتيان. شعر بالإحراج من سلوكها، وكان يريد أن يتحدث إليها، لكن ميج تجنبته حتى حان وقت مغادرته.

حينئذ قالت له ميج: «لا تنطق بكلمة واحدة!» ووضعت إصبعها فوق شفتيها.

أجابها لوري بجدية: «أعدك بذلك.»

كانت الفتيات يشعرن بالفضول لمعرفة المزيد عن لوري، لكن ميج كانت متعبة للغاية وتعاني صداعًا. كانت سعيدة لأن يوم السبت قد اقترب، ولم يعد أمامها في ذلك المنزل سوى يومين. كانت مشتاقة إلى العودة إلى المنزل، وشعرت بالإنهاك التام بعد أسبوعين من المرح.

أخبرت ميج شقيقاتها بمغامراتها عندما عادت إلى المنزل. وفي يوم الأحد بعد أن أوت بيث وإيمي إلى الفراش، جلست في هدوء بجانب المدفأة.

– «البيت مكان رائع حتى لو كان يخلو من مظاهر الترف والفخامة.»

قالت مارمي: «أنا سعيدة للغاية لسماع هذا الكلام منك يا ميج، كنت أخشى أن تشعري بالملل بعد أن أمضيت وقتًا في ذلك المنزل الراقي.»

فكرت ميج دقيقة، ثم قالت: «مارمي، يجب أن أعترف بشيء.»

أخبرت أمها وجو بكل شيء حدث في الحفل الذي أقامته عائلة موفا، بما في ذلك فستانها الأنيق واحتساؤها الخمر. قالت إنها أدركت أن لوري شعر بخيبة أمل من سلوكها. ووصفت لهما تودُّدها للفتيان والثرثرة التي سمعتها بالمصادفة.

شحب وجه مارمي، وصاحت جو: «هذا كلام فارغ! لماذا لم تخبريهم بالحقيقة.»

أطرقت ميج برأسها، وقالت: «شعرت بالخزي والإحراج، علاوةً على أن هذا الأمر أغضبني كثيرًا.»

صاحت جو: «هل يظنون أننا نتعامل بود مع لوري وجدِّه ليتزوج لوري من إحدانا؛ يا له من أمر سخيف.» ثم ضحكت. وتعهدت بأن توبِّخ آني موفا عندما تراها.

أخبرت مارمي جو في هدوء أن الثرثرة لا تدوم، وستصبح في طي النسيان في أسرع وقت ممكن. لقد أحكمت مارمي خططها بالفعل من أجل بناتها، لكن هذه الخطط ليست كما ظنَّت السيدة موفا على الإطلاق. فقد أرادت لبناتها أن يكبرن ويصبحن ناجحات وطيبات، وأن يحظين بإعجاب واحترام الآخرين، وأن يؤسسن حياة نافعة وسعيدة. أرادتهن أن يعثرن على الحب من أجل الزواج، وألا يتزوجن من أجل الثراء.

وأضافت: «صبرًا جميلًا، واتركا الأمور تأخذ مجراها، سيسير كل شيء كما ينبغي له تمامًا.» وبعد تلك النصيحة الرائعة، أوت الفتاتان إلى الفراش وهما مرتاحتا البال وقلباهما مملوءان بالآمال.

الفصل التاسع

تجارب

في يوم دافئ من أيام شهر يونيو/حزيران عادت ميج إلى المنزل وقالت في حماسة: «ستذهب أسرة كينج لقضاء عطلة على شاطئ البحر اعتبارًا من الغد. أنا حرة! إجازة مدتها ثلاثة شهور كاملة!»

ارتمت جو فوق الأريكة، وخلعت بيث حذاءها المغطى بالتراب، وأعدَّت إيمي عصير ليمون للجميع. ثم قالت جو: «ذهبت العمة مارش إلى بلَمفيلد اليوم. كنت أخشى كثيرًا أن تطلب مني مرافقتها. في اللحظة التي صعدت فيها إلى العربة، ركضت إلى المنزل.»

ضمت بيث قدم جو إلى صدرها، وقالت: «مسكينة يا جو، لقد جاءت إلى هنا ركضًا وكأن الدببة تطاردها!»

سألتها إيمي وهي ترتشف عصير الليمون: «العمة مارش تشبه مضَّاضي الدماء، أليس كذلك؟»

تنهَّدت جو، وقالت: «تقصدين مصَّاصي الدماء، لكن لن أزعج نفسي بكلماتك الخاطئة اليوم؛ فالجو حار بما يكفي.»

غيَّرت إيمي الموضوع، وقالت: «ماذا ستفعلان في إجازتكما؟»

فكَّرت ميج لحظة، ثم أجابتها: «سأستلقي على السرير، ولن أفعل شيئًا! كنت أستيقظ باكرًا طوال الشتاء لأعتني بأشخاص آخرين. لذا في الصيف سأسترخي وأستلقي على السرير قدر ما شئت.»

قالت جو: «أما أنا، فلن أكفَّ عن القراءة! وسأمضي بعض الوقت برفقة لوري.»

قاطعتها إيمي، وقالت: «لنتوقف عن المذاكرة يا بيث، ونلهو طوال الوقت.»

أجابتها بيث: «سيكون ذلك ممتعًا، لكن إذا وافقت أمُّنا. هناك أغانٍ جديدة أود تعلمها، ودُمياتي تحتاج ملابس جديدة.»

كانت مارمي تخيط في هدوء في زاوية من المنزل، فسألتها ميج: «يا أمي، هلا تسمحين لنا؟»

أجابتها السيدة مارمي: «يمكنكن القيام بذلك مدة أسبوع، وأظن أنه بحلول يوم السبت القادم ستشعرن بأن كل اللهو والخمول لا يقل سوءًا عن العمل الشاق طوال الوقت.»

تنهَّدت ميج: «كلا! أنا واثقة أنه سيكون رائعًا تمامًا.»

رفعت جو كوبها: «نخب الاستمتاع طوال الوقت وعدم العمل!»

احتست الفتيات عصير الليمون في سعادة، وأمضين باقي اليوم مستلقيات في المنزل.

وفي اليوم التالي، لم يمر أي شيء كما المتوقع. فلم تنجز الأعمال المنزلية، واستمتعت كل فتاة من الفتيات الأربعة بطريقتها. لكن لم يكُنَّ سعداء تمامًا. ظلَّت جو تقرأ إلى أن آلمتها عيناها حتى إنها تشاجرت مع لوري. أما إيمي فبعد أن حاولت الرسم خارج المنزل، هطلت الأمطار وأفسدت فستانها. خرجت ميج للتسوق فوجدت الأقمشة من نوع رديء. أما بيث فأخرجت كل شيء من الخزانة لتصنع منزلًا جديدًا لدمياتها، ولكنها شعرت بالتعب وتركت العمل دون أن تنهيه. وعند العشاء اتفقت الفتيات على أنه على الرغم من المتعة التي حظين بها، بدا اليوم أطول دون عمل يشغلهن.

بحلول يوم الجمعة، استيقظت الفتيات وهن يشعرن بالاكتئاب. لم تعترف أي منهن بأن التجربة في طريقها للفشل. قررت السيدة مارمي أن تضفي قليلًا من المتعة، لذا أعطت هذا اليوم إجازة لهانا، وعندما استيقظت الفتيات صباح السبت وجدن المطبخ موحشًا بلا فطور، ولم يجدن مارمي في الطابق السفلي.

صاحت جو: «ماذا يحدث؟»

صعدت ميج إلى الطابق العلوي، وعندما عادت شرحت الأمر: «أمُّنا متعَبة، وستستريح اليوم، علينا أن نتعامل مع الأمر على أفضل نحو ممكن.»

قالت جو: «حسنًا، أنا أتوق إلى القيام بشيء، أعني قليلًا من الإثارة.»

كان إنجاز بعض الأعمال أمرًا يبعث على الراحة. جهَّزت الفتاتان الصغريان المائدة، وأعدَّت جو وميج الفطور.

أحضرت ميج صينية الطعام إلى مارمي. كان بها شاي مرٌّ، وبسكويت طري، وبيض محروق. عندما غادرت ميج، ضحكت مارمي كثيرًا، وقالت: «مسكينات! سيمررن بوقت عصيب، لكن ذلك في صالحهن.»

اشتكى الجميع من الفطور المروع، وعندما حان موعد الغداء، قررت جو أن تطهو، ووافقت ميج على مضض بعد أن أحدثت تلك الفوضى.

دعت جو لوري لتناول الغداء معهن تعويضًا عن المشاجرة. وبثقة كاملة في مهاراتها، حددت أصناف الطعام التي ستصنعها وأعدَّت قائمة بالطلبات. لم يكن هناك سوى مشكلة واحدة؛ وهي أنه ليس لدى جو أي فكرة عن الطهي. عرضت ميج مساعدتها في حالة الضرورة، على الرغم من أنها لا تعرف عن عالم الطهي أكثر من إعداد رغيف خبز. وبعد أن غادرت مارمي المنزل لتناول الغداء بالخارج، أصبحت جو وحدها دون أي مساعدة.

وفجأة سمعت جو بيث تبكي في حجرة المعيشة، فهرعت إليها فوجدتها تنتحب لموت بيب، عصفور الكناري، الذي كان ممددًا داخل قفصه بلا حراك، فقد نسين أن يقدمن له الطعام. أخرجته بيث من قفصه، وبكت: «يا لك من مسكين يا بيب! كم أنا قاسية القلب؟ لقد نسيتك تمامًا.»

قالت جو: «سنقيم له جنازة ملائمة بعد الغداء. لا تبكي يا بيث، إنه أسبوع غريب، وموت بيب المسكين أسوأ ما فيه.»

تركت جو بيث بين أحضان ميج وإيمي الدافئة، وعادت إلى المطبخ. أشعلت جو الموقد وجمعت الصحون، وأثناء تسخين الماء، ذهبت إلى السوق، واشترت سمكة سلطعون صغيرة ونبات الهليون وصندوقين من الفراولة الحامضة.

عندما عادت إلى المنزل، اكتشفت أن ميج قد نسيت الخبز، وأنه تخمَّر أكثر من اللازم، ومع ذلك اضطرت جو إلى خبزه. كدَّت جو في تحضير الغداء حتى أنهت كل شيء.

لكن اتضح أن الغداء كارثة أكبر من الفطور. فقد تُرِك الهليون على النار أكثر من اللازم، واحترق الخبز، ولم تكن البطاطا تامة النضج، وفسد السلطعون. أما الكعكة فكانت مُكتَّلة، والقشدة فوقها حامضة. والأسوأ من ذلك، أنها وضعت ملحًا فوق الفراولة بدلًا من السكر، كادت جو تبكي عند المائدة. لمعت عينا لوري على الرغم من ذلك، فانفجرت جو في الضحك. وانفجر الجميع أيضًا في الضحك، وبدلًا من أن يحظى الجميع بغداء رائع خططت له جو، تناولوا البسكوت والزبد والزيتون، وحظوا ببعض المرح.

بعد الظهر أقاموا جنازة ملائمة للعصفور بيب.

أمضت جو وميج باقي اليوم في تنظيف الفوضى جراء تحضير الطعام المروع. أرادت بيث أن تنام، لكن لم تكن الأسِرَّة مرتَّبة، لذا أمضت الظهيرة في نفش الوسادات وتنفيض الأغطية.

8

عادت مارمي إلى المنزل، ووجدت بناتها الأربعة في حالة من الإنهاك والإحباط وقد سئمن من التجربة.

– «حسنًا يا فتياتي، هل اكتفيتن بأسبوع من اللهو، أم تردن أسبوعًا آخر؟»

قالت جو في حزم: «لا أريد أسبوعًا آخر؛ أنا واثقة.» وافقتها شقيقاتها في ذلك. ثم أضافت جو: «والعمل طوال الوقت دون وقت للهو لا يناسبنا أيضًا، هذا أمر مؤكد!»

سألت ميج: «يا أمي، هل خرجت اليوم لترين كيف سندبر أمورنا في غيابك؟»

ابتسمت مارمي، وأومأت برأسها، ثم أوضحت لهن أنه لا يمكن أن تسير الأمور في المنزل دون أن يعمل الجميع. ثم سألتهن: «أليس من الأفضل أن تكددن في عملكن حتى تستمتعن بأوقات الفراغ؟»

وافقتها الفتيات الرأي، فقد تعلمن جميعهن درسًا سيبقى معهن طيلة العمر؛ وهو أنه لا بد أن يكون هناك توازن وتناسق بين العمل واللهو.

الفصل العاشر

مخيم لورانس

في يوم من أيام شهر يوليو/تموز دخلت بيث المنزل وهي تحمل فوق ذراعيها الكثير من الطرود. فقد عُيِّنت المسئولة عن صندوق البريد الذي أنشئ بين منزلي عائلة مارش وعائلة لورانس من باب المزاح، وذلك لأنها كانت تمضي معظم وقتها بالمنزل.

إحدى هذه الطرود كان مميزًا، وبعد أن فتحته ميج وجدت فيه خطابًا وفردة قفاز واحدة. ثم تذكرت ميج أنها تركت زوج قفاز بمنزل لوري: «يا إلهي! أين الفردة الأخرى؟» قالت بيث إنها وجدت فردة واحدة في صندوق البريد.

«كم أكره القفازات الفرادى.» توقفت ميج عن الخياطة وفتحت الخطاب. كان يحوي ترجمة لأغنية ألمانية. قالت: «لا بد أن السيد بروك من كتبه، فهذا ليس خط لوري.»

رمقت مارمي ابنتها الجميلة بنظرة. وخطر لها أن هناك علاقة عاطفية تنمو بين ميج والسيد بروك. لم تدر ميج فيما تفكر أمها، لكنها كانت سعيدة للغاية، وجلست تخيط وهي تغني.

كان يوجد طرد آخر لجو. ضحكت جو عندما أعطتها بيث قبعة كبيرة متدلية الأطراف، وشرحت لهن الأمر: «أخبرتُ لوري منذ بضعة أيام أنني أتمنى أن تصبح القبعات الكبيرة موضة اليوم لأن الشمس تسفعني، فقال لي: «لماذا تهتمين بالموضة؟ ارتدي قبعة كبيرة من أجل راحتك.»»

كذلك تلقت جو رسالة من أمها، التي عبرت فيها عن فخرها لأنها نجحت في التحكم في غضبها. وخطابًا آخر من لوري يدعو الجميع إلى الخروج في نزهة؛ فأصدقاؤه — أسرة فون — قادمون من إنجلترا.

تحمست جو، وقالت: «هل تسمحين لنا بالذهاب يا مارمي؟ سنقدم أنا وميج المساعدة وستحظى بيث وإيمي بالمتعة.»

سألتها ميج: «هل تعرفين أي شيء عن أسرة فون؟»

أجابتها جو: «إنهم أصدقاء لوري من الخارج. كيت أكبر منك سنًّا، والتوءم فريد وفرانك من عمري، وجريس تبلغ من العمر نحو تسعة أعوام.»

قالت ميج التي دائمًا تهتم بمظهرها: «حمدًا لله أنني اشتريت فستانًا جديدًا! هل لديك شيء لائق ترتدينه يا جو؟»

أدارت جو عينيها ثم قالت إن حُلَّة الإبحار الرمادية ستفي بالغرض. بقطع النظر عن أي شيء، سنمضي اليوم في التجديف وتناول الطعام بالخارج.

قالت بيث إنها تخشى الأولاد الغرباء قليلًا، لكنها تود كثيرًا أن تذهب إلى هناك. حثَّت جو شقيقاتها على إنهاء الأعمال المنزلية بحيث يتمكنّ من قضاء إجازة وهن مطمئنات.

عندما استيقظت جو صباح اليوم التالي، لاحظت أن إيمي تضع مشبك غسيل حول أنفها كي تستقيم إلى أعلى بقطع النظر عن الألم الذي تشعر به، فضحكت جو. كان اليوم مشرقًا وجميلًا ومثاليًّا للتنزه بالخارج. ارتدت الفتيات الأربعة ملابسهن. كانت بيث أول من انتهت من ارتداء ملابسها ثم اتجهت إلى النافذة لتراقب المشهد الصاخب بالخارج. نقلت لشقيقاتها ما يحدث وقالت: «أوه، لوري يرتدي ملابس بحَّار، ونيد موفا وسالي جاردينر والسيد بروك بالخارج أيضًا، يا لها من متعة سنحظى بها يا فتيات! يا لها من متعة!»

سرعان ما أصبحت الفتيات الأربعة جاهزات، كانت ميج تشعر بالخزي لأن شقيقتها جو ترتدي قبعتها الكبيرة ذات الأطراف المتدلية. ثم اتجهن إلى منزل لوري لمقابلة أصدقائه. عرفهن لوري بأصدقائه على نحو لائق، لاحظت جو أن كيت متحفظة. فكَّرت في نفسها: «لعل ذلك السبب الذي يجعل لوري يتوقف عن الكلام فجأة عندما يتحدث عنها.»

تغلبت بيث على خجلها قليلًا عندما لاحظت أن فرانك يسير بمساعدة عكاز، كان طيب القلب رقيقًا. وسرعان ما تصادقت إيمي مع جريس الصغيرة وكأنهما تعرفان إحداهما الأخرى منذ زمن بعيد.

حاول فريد الماكر قلب القاربين في المياه، وضحك الجميع على قبعة جو الغريبة. تعجبت كيت من جو التي صرخت دون إدراك منها عندما فقدت مجدافها: «النجدة!»

نُصِبت الخيمة الكبيرة عندما وصلوا إلى المتنزه. قفز لوري، وأعلن بصوت مبتهج: «مرحبًا بكم في مخيم لورانس!» ثم اقترح أن يلعبوا مباراة كروكيه قبل تناول الغداء. قسَّموا أنفسهم إلى فريقين. حاولت جو السيطرة على انفعالاتها عندما رأت فريد فون يغش، فلم يكن الأمر ذا أهمية، لأنهم جميعًا أمضوا وقتًا طيبًا وهم يمارسون تلك اللعبة.

حان وقت الغداء بعد ذلك، وساهم الجميع في إعداده. جمع المخيمون الأصغر سنًّا العصي لإشعال نيران. وأعدَّت الفتيات الأكبر سنًّا المائدة، وأشعل الأولاد النيران. كانت الوجبة رائعة، وتناولوا الكثير من الطعام. أكل لوري وجو في طبق واحد لأنهم فقدوا واحدًا.

قال لوري: «يوجد ملح، إذا أردت وضعه على الفراولة.»

ضحكت جو: «كيف تذكرني بذلك الغداء المروع في حين أن كل شيء هنا رائع للغاية.»

«أنا لم أفعل شيئًا، فأنت وميج والسيد بروك قمتم بكل شيء.» ثم صمت لحظة وأردف: «ماذا سنفعل بعد الغداء؟»

أجابته جو: «سنلعب في الخيمة حتى يهدأ الجو. لقد أحضرت إحدى الألعاب، وأعتقد أن كيت تعرف ألعابًا جديدة. يجدر بك الاهتمام بها أكثر من ذلك، فهي ضيفتك.»

احتج لوري وأخبرها أنها أيضًا ضيفته، إلى جانب أنه ظن أن كيت والسيد بروك سيمضيان فترة ما بعد الظهر معًا، لكن السيد بروك ظل يتحدث مع ميج.

رمقته جو بنظرة، وفي النهاية تنهَّد لوري، وقال: «حسنًا، سأذهب إليها.»

جلست المجموعة كلها داخل الخيمة في انتظار انقشاع الحرارة. كانت جو على حق، فكيت تعرف بعض الألعاب المنزلية الممتعة. لعبوا الكثير من الألعاب. بعد ذلك تركت كيت وميج والسيد بروك الصغار يلعبون في الخيمة. جلسوا فوق الحشائش، وبدأت كيت ترسم. قالت ميج بلهفة: «رائع! ليتني أستطيع أن أرسم!»

سألتها كيت: «لماذا لا تتعلمين الرسم؟»

– «ليس لدي وقت.»

«لماذا؟» ثم سألتها كيت بلهجتها البريطانية: «هل المدرسة تمنع ذلك؟»

قالت ميج: «كلا، أنا لا أذهب إلى المدرسة، فأنا أعمل مربية أطفال.»

ارتسمت على وجه كيت علامات استنكار فاحمرَّ وجه ميج خجلًا. شرح لها السيد بروك: «الفتيات الأمريكيات يتمتعن بالاستقلالية. ويحظين بالإعجاب لأنهن يعتمدن على أنفسهن.»

لم تتأثر كيت على ما يبدو بكلام السيد بروك، وهذا ما جعل ميج تشعر بالسوء أكثر. استدار السيد بروك إلى ميج وسألها هل أعجبتها الأغنية الألمانية التي ترجمها لها.

أشرق وجهها، وقالت: «أجل، أعجبتني كثيرًا. شكرًا لك.»

وعلى مدى بقية اليوم انشغل السيد بروك وميج في تجاذب أطراف حديث ودود. انتهى اليوم بلعب مباراة كروكيه. وعند الغروب، فككوا الخيمة، وحزموا أغراضهم، ووضعوها في الزوارق، وشقوا طريقهم إلى المنزل. أكَّد الجميع أن مخيم لورانس كان ناجحًا نجاحًا مبهرًا!

الفصل الحادي عشر

أحلام يقظة

جلس لوري فوق أرجوحته الشبكية في يوم دافئ من أيام شهر سبتمبر/أيلول. تساءل ماذا يفعل جيرانه الآن، لكنه كان يشعر بالكسل، فلم يذهب ليستكشف بنفسه. لم يكن قد أنهى واجباته الدراسية، وهو الأمر الذي أثار إحباط السيد بروك. وبدلًا من إنهاء واجباته، عزف على البيانو، مما أغضب جده. ثم مزح مزاحًا ثقيلًا مع إحدى الخادمات، وتشاجر مع السائس. لذا بدا كل من بالمنزل غاضبًا من لوري. لحسن الحظ، غلبه النعاس، ونام بعض الوقت فتحسنت حالته المزاجية. سمع لوري أصواتًا أيقظته من حلم رأى فيه أنه يخوض مغامرة في البحار. فتح عينيه فرأى الشقيقات الأربعة يخرجن من المنزل.

كان شكلهن غريبًا، ترتدي كل واحدة منهن قبعة كبيرة وحقيبة معلقة على كتفها وتمسك عكازًا. مرت الفتيات بالحديقة، ثم صعدن فوق التل في اتجاه النهر. شعر لوري بالتجاهل والإهمال لأنهن لم يدعُنَّه، فقرر اتِّباعهن.

عثر عليهن جالسات في ركن ظليل. كانت ميج تخيط، وإيمي ترسم، وجو تَحبك وتقرأ بصوت عال، أما بيث فكانت تفرز كيزان الصنوبر. شعر لوري بالاستياء من نفسه لأنه تلصص عليهن، لكنه كان يشعر بالوحدة، لذا اقترب منهن.

سألهن: «هل تسمحن لي بالانضمام إليكن؟ أم أنني سأزعجكن؟» رفعت ميج أحد حاجبيها.

قالت جو: «بالطبع يمكنك الانضمام إلينا. كان يجدر بي أن أطلب ذلك منك، لكن لم أكن واثقة أنك ستحب ألعاب الفتيات.»

– «أنا على ثقة أنها ستكون ممتعة، لكن إذا أرادت ميج أن أنصرف، فسأنصرف.»

قالت ميج: «يمكنك المكوث معنا ما دمت ستفعل شيئًا، فهذا مجتمع الفتيات الكادحات، وغير مسموح بالخمول هنا.»

– «ماذا ينبغي علي أن أفعل؟»

أعطته جو كتابًا ليقرأه بصوت عال أثناء حبكها لعقب جوربها. عندما انتهى، سألهن: «ما اللعبة التي سنلعبها؟»

سألت ميج شقيقاتها: «هل نخبره؟»

حذَّرتها إيمي: «سيسخر منا!»

وعدهن لوري: «كلا، لن أسخر، هذا وعد مني.»

شرحت له جو أنهن يسعين طوال العام إلى أن يكُنَّ فتيات طيبات ومعطاءات. وأنهن يأتين إلى هذه البقعة ليعملن حيث يستمددن الإلهام من منظر النهر الأزرق الواسع والتلال الخضراء والسحب البيضاء التي تتلألأ في سماء المدينة كأبراج الكنيسة. وعلى سبيل الاستمتاع، يرتدين القبعات القديمة، ويؤدين مسرحية «السائح المسيحي» في طريقهن إلى تلك البقعة.

تنهدت جو: «ألن يكون الأمر ممتعًا إذا تحققت كل أحلام يقظتنا؟»

قال لوري إنه من الصعب عليه السعي وراء تحقيق حلم واحد لأن لديه الكثير من الأحلام.

سألته جو: «ما حلمك المفضل؟»

– «سأخبركن بحلمي إذا أخبرتموني جميعًا بأحلامكن.»

وافقت الفتيات على ذلك.

قال لوري بنبرة واثقة: «أحلم بأن أنتقل إلى ألمانيا، وأعيش هناك، وأصبح عازفًا مشهورًا. هذا هو حلم يقظتي.» ثم استدار إلى ميج، وقال لها: «حان دورك.»

قالت ميج: «أود أن أكون ربة منزل جميل، وأن أديره على خير وجه.»

مازحها لوري: «مع زوج رائع؟»

احمرَّ وجه ميج، وقالت جو في حزم: «لن يكون حلمك مثاليًّا إلا بوجود زوج طيب وملائكة صغار من حولك، وأنت تعلمين ذلك!»

أجابتها ميج على الفور: «وحلمك أنت أن يكون لديك خيول، وأقلام وحبر، وروايات من تأليفك!»

ابتسمت جو: «بالضبط! أود أن أكتب، وتكسبني قصصي شهرة كالشهرة التي سيحققها لوري من عزفه!»

قالت بيث في هدوء: «حلمي أن أمكث بالمنزل مع أمي وأبي وأساعدهما في الاعتناء بالأسرة.»

سألها لوري: «أهذا كل شيء؟»

قالت بيث: «أجل، لا سيما بعد أن حصلت على البيانو الصغير. هذا كل ما أحتاج.»

قالت إيمي فجأة: «حلمي أن أذهب إلى روما وأصبح فنانة مشهورة.»

فكَّر لوري وقال: «يا لنا من أشخاص طموحين! كلٌّ منا يحلم بالثراء والشهرة، ما عدا بيث. أتساءل هل سننجح في تحقيق أحلامنا.»

قالت جو: «لديّ مفتاح تحقيق حلمي، لكنني لا أدري هل سأستطيع تحقيقه؛ فهذه قصة أخرى.»

تنهَّد لوري، وقال: «أنا أيضًا.»

رفعت إيمي قلمها الرصاصي، وقالت: «وها هو مفتاحي!»

قالت ميج بصوت خافت: «ليس لدي أي مفتاح.»

أجابها لوري: «بلى، وجهك الحسن.» احمرَّ وجه ميج خجلًا للمرة الثانية. قال: «صبرًا جميلًا وستتأكدين أن وجهك الجميل سيحقق لك شيئًا جديرًا بالاهتمام.»

اقترحت جو: «لنتفق أن نتقابل هنا بعد عشرة أعوام من الآن، ونرى إلى أي مدى وصلنا في تحقيق أحلامنا.» وافقها الجميع، وقالوا إنها خطة رائعة.

علَّق لوري وهو مستغرق في التفكير: «أتمنى أن أكون حققت شيئًا أفتخر به بحلول ذلك الوقت، لكنني كسول للغاية.»

قالت جو بنبرة مطَمْئِنة: «كل ما تحتاج إليه هو بعض الإلهام.»

قال لوري: «يجدر بي أن أكون سعيدًا لإرضاء جدي، فهو يريدني أن أتولى إدارة تجارة العائلة، وأنا أود أن أكون عازفًا، وأتمنى كثيرًا أن أرتحل في العالم.»

اقترحت جو: «يجدر بك أن تبحر بعيدًا، ولا تعد أبدًا إلا بعد أن تحقق ما تريد.»

قالت ميج في نبرة توبيخ: «هذا ليس بالأمر الصحيح يا لوري، ينبغي عليك أن تفعل ما يريده جدك. وحالما يتبين له أنك تبذل قصارى جهدك في الكلية، فمن المؤكد أنه سيحقق لك رغباتك.» واستطردت: «قم بواجبك وستحظى بالاحترام والإعجاب كالسيد بروك.»

سأل لوري ميج ماذا تعرف عن السيد بروك.

– «إنه اعتنى بوالدته حتى ماتت، والآن يعيل ممرضة أمه العجوز.»

وافقها لوري في أن السيد بروك رجل نبيل، ثم استرسلت ميج وأخبرت لوري أن عليه الاستماع إلى معلمه وعليه استذكار دروسه جيدًا. شعر لوري بالإهانة دقيقة، وبعدها استعاد روحه الفكاهية مرة أخرى.

استأنفت جماعة الفتيات الكادحات العمل، أما لوري فقد حاول جاهدًا أن يثبت براعته ليضمن عضويته في تلك الجماعة.

في الليل، أثناء عزف بيث على البيانو للجد لورانس، راقبهما لوري في هدوء من مدخل الباب. فكَّر كثيرًا فيما قالته ميج، وتعهَّد بينه وبين نفسه: «سأتخلى عن حلمي في الوقت الحاضر، وسأمكث مع جدِّي العزيز وقت احتياجه إليّ، فأنا كل ما تبقى لديه في الدنيا.»

الفصل الثاني عشر

أسرار

حل شهر أكتوبر/تشرين الأول فحلَّت معه البرودة وقصُر النهار. جلست جو في علية المنزل وهي مختبئة أسفل بطانية قديمة، وأخذت تكتب في عجلة وفأرها سكرابل يلعب عند قدميها. أنهت الجملة الأخيرة، ثم وقّعت في كل ثقة، وصاحت: «يا إلهي! لقد بذلت قصارى جهدي.»

ثم حزمت رزمة الورق بشريط أحمر، وأخرجت مخطوطة ثانية من مخبئها السري، ووضعتهما معًا في حقيبتها، وتسللت إلى الطابق السفلي في هدوء.

تسللت جو خارج المنزل، وشقَّت الطريق إلى المدينة. وعندما وصلت إلى وجهتها، ترددت عدة مرات في دخول المبنى. عُلِّقت عند مدخل المبنى لافتة إعلانية لطبيب أسنان، وفي المحاولة الثالثة، شقَّت طريقها عبر السلم المغطى بالتراب. كان لوري يمر على الجهة الأخرى من الشارع مصادفة حين رأى جو تدخل ذلك المبنى. عَبَر الشارع، وانتظر أسفل اللافتة. قال في نفسه: «ليس غريبًا على جو أن تأتي إلى هنا وحدها. إذا كانت تشعر بالألم، فسأصطحبها إلى المنزل.»

وفي غضون عشر دقائق، ظهرت جو ووجهها متشح بالاحمرار، وبدا عليها أنها كانت تمر بمحنة ما. لم تفرح جو عندما رأت لوري، وحاولت أن تتجاهله، لكنه اتبعها.

سألها: «هل كان الأمر بغيضًا؟»

– «ليس تمامًا.»

– «لكنك انتهيت سريعًا.»

– «أجل، حمدًا لله.»

سألها: «لماذا ذهبت وحدك؟»

– «لم أشأ أن يعرف أحد بالأمر.»

وبَّخها لوري: «أيتها الفتاة السخيفة، كم سِنًّا خلعت؟»

ضحكت جو، فقد أدركت أن لوري ظن أنها صعدت إلى طبيب الأسنان. لمعت عيناها وهي تجيبه: «عليّ أن أنتظر أسبوعًا من أجل الاثنين اللذين أريدهما أن يخرجا إلى النور.»

سألها لوري: «لماذا تضحكين؟ وماذا كنت تفعلين؟»

أجابته جو: «ماذا كنت تفعل أنت في صالة البلياردو تلك؟»

أوضح لها أنها ليست صالة بلياردو، بل هي صالة ألعاب رياضية. وأنه كان يحضر دروسًا للمبارزة بالسيف.

قالت جو: «رائع! هذه اللعبة ممتعة! يمكنك أن تعلمني، وحينها سنؤدي مسرحية هاملت.»

ضحك لوري، ووافق على تعليمها المبارزة بالسيف حتى لو لم يؤديا مسرحية هاملت. كان السير إلى المنزل ممتعًا لولا نشوب شجار صغير بينهما. حذَّرته جو من أن يكون فتى طائشًا، وأخبرته أن والدتها لا تحب ذلك.

– «هل ستوجهين لي النُصح طوال الطريق إلى المنزل؟»

أجابته جو: «بالطبع لا، لماذا تقول ذلك؟»

– «إذا كنت ستفعلين، فسأشق طريقي وحدي. وإن لم يكن ذلك، فسأخبرك بسر.»

تحمست جو كثيرًا عندما سمعت بأمر السر، وقالت: «لن أسدي إليك أي نصيحة أخرى، هيا أخبرني بالسر!»

لكن لوري لم يخبرها بالسر حتى أخبرته هي بما كانت تفعله في المدينة. أخبرته جو أنها كانت في مكتب الجريدة، وأنها تركت قصتين من قصصها مع المحرر، وأن عليها الانتظار أسبوعًا لتعرف هل تمت الموافقة على القصص أم لا.

صاح لوري: «مرحى يا جو مارش، المؤلفة المشهورة!» وقذف قبعته في الهواء.

تجهَّمت جو، وقالت: «توقف، قد لا يوافق المحرر على القصتين، لكنني لم أكن لأنعم براحة إلا إذا حاولت.»

أخبرها لوري أن قصصها رائعة، وأنها ستنتشر بالتأكيد. حان دوره الآن أن يخبرها بالسر. قال لها إنه يعلم أين توجد فردة قفاز ميج المفقودة، وهمس إنه رآها في جيب السيد بروك. «أليس هذا رومانسيًّا؟»

قطَّبت جو حاجبيها، وقالت: «كلا، إنه أمر مروع.» مقتت جو فكرة أن يأتي شخص ويأخذ ميج بعيدًا عن العائلة. «أعتقد أنني لا أحب الأسرار، أنا غاضبة الآن لأنك أخبرتني.»

أراد لوري التخفيف عنها، فقال: «ما رأيك أن نتسابق أثناء نزول التل؟»

ركض الاثنان بقوة عبر المنحدر، وسقطت قبعة جو ودبوس شعرها أثناء ركضها، لكن فورة النشاط حققت الهدف المنشود، وتحسنت حالتها المزاجية على الفور. وعندما أدركت لوري عند أسفل التل، كانت منقطعة الأنفاس.

قالت وهي تلهث: «ليتني كنت حصانًا، وحينئذ كنت سأتمكن من الركض أميالًا دون أن أشعر بالتعب. هل من الممكن أن تتصرف بنبل وتحضر لي أشيائي التي سقطت مني؟»

حاولت جو إصلاح تصفيفة شعرها قبل أن تقابل أحدًا في الطريق، لكن كان الأوان قد فات. حضرت ميج وهي ترتدي أفضل فساتينها، فنظرت إلى أختها، وقالت: «يا جو، متى ستكفين عن الركض طوال الوقت؟»

أجابتها جو: «لن أكف إلا عندما أصير عجوزًا شابَ شعرها. دعيني أعيش شبابي يا ميج.» عضَّت على شفتيها لتمنع نفسها من البكاء. استقر السر في أعماق قلبها، فآخر ما كانت تتمناه هو أن تكبر أختها وتتزوج.

تدخَّل لوري في الوقت المناسب، وسأل ميج: «أين كنت؟»

– «كنت بمنزل عائلة جاردينر، كانت سالي تخبرني بأدق تفاصيل زفاف بيل موفا؟»

سألها لوري: «هل شعرتِ بالغيرة.»

أقرت: «أجل للأسف.»

قالت جو بصوت خافت وهي تحرك قبعتها: «أنا سعيدة بذلك. إذا كنت تحبين الثراء، فلن تتزوجي رجلًا فقيرًا أبدًا.»

اتَّسعت عينا لوري، فهو لم يكن يود إفشاء السر.

قالت ميج: «لا أظن أنني سأتزوج أبدًا.» ومضت في طريقها أمامهما. تصرفت جو ولوري كالأطفال، وأخذا يقذفان الحجارة ويضحكان ويتهامسان. أرادت ميج الانضمام إليهما، لكنها لم تكن لتلهو معهما وهي ترتدي أفضل ثيابها.

على مدى أسبوع، تصرفت جو على نحو غريب للغاية، فكانت تهرع إلى الباب وقتما يأتي ساعي البريد. وكثيرًا ما كانت تتصرف بفظاظة مع السيد بروك وتحدق بميج بطريقة غريبة حتى احتارت العائلة بأكملها في أمرها. وعندما حل يوم السبت نظرت ميج من النافذة فرأت لوري يركض نحو جو في الحديقة. كان يلوح بصحيفة

في يده. انتزعتها جو منه، واندفعت داخل المنزل. ارتمت فوق الأريكة، وتظاهرت بقراءة الصحيفة.

سألتها ميج: «هل ثمة شيء مشوق بها؟»

رفعت جو عينها، وقالت: «قصة واحدة.»

أرادت بيث معرفة اسم القصة.

أجابتها جو: «الرسَّامون الأعداء.»

شعرت ميج بالفضول، وقالت: «لماذا لا تقرئينها لنا؟»

استمعت الفتيات بانتباه. تنحنحت جو، وقرأت القصة بسرعة البرق. أطرت كل فتاة على القصة بصورة مختلفة. ثم سألتها إيمي عن كاتبها.

جلست جو فجأة، وقالت: «شقيقتكن!»

علت أصوات البهجة بعدها، واطلعت كل واحدة منهن على اسم «الآنسة جوزفين مارش» المطبوع بوضوح. كانت جو تضحك وتبكي في الوقت نفسه، فأكثر أمنياتها قربًا إلى قلبها أن تكون مستقلة وتحظى بمديح أحبائها.